

ناطقة باسم العدو ومتواطئة في حربه الذّفسية: قناة العربية بتتكلّم عبري

لم تخسر من مشاهديها فحسب، بل تواجه أيضاً دعوات لمقاطعتها في عصر السوشال ميديا. أداء الشبكة السعودية في الإبادة الجماعية التي تقترفها إسرائيل في غزّة، يندى لها الجبين. تحوّلت «العربية» في الأسابيع الماضية إلى منصّة تخدم صورة العدو، قبل أن تذهب حدّ المجاهرة بمواقفها المنحازة إلى كيان الاحتلال، وكلّ ذلك معلّب ضمن شعارات «السلام»

منذ تأسيسها قبل عشرين عاماً، دخلت قناة «العربية» السعودية على خطّ المنافسة إلى جانب «الجزيرة» القطرية، التي كانت قد انطلقت منتصف التسعينيات، وتربّعت على رأس قائمة منافذ الجمهور العربي الإخباري، وغطّت أحداثاً مفصلية في المنطقة بما فيها تحرير الجنوب اللبناني و«انتفاضة الأقصى». أطلّت «العربية» برأسها، فشخت الأنظار نحو الفضائيتين معاً، وخصوصاً في المحطّات المفصلية، بدءاً باجتياح العراق وصولاً إلى «حرب تمّوز»، وباتت المنافسة على أشدّها.

لكن مع قدوم «الخريف العربي»، اصطفتّ القنوات إلى جانب الولايات المتّحدة وأدواتها، بما فيها الجماعات المسلّحة والكيان الصهيوني، فخسرتا الكثير من مشاهديهما، كما قنوات عربية أخرى ركبت

قطار الثورات الملوّنة والحروب المخطّطة في مطابخ استخباراتية أجنبية. ولئن لم تغيّر «الجزيرة» من لهجتها تجاه فلسطين طوال السنوات الماضية، إلا أنّ ذلك لم يُعَد لها ما خسرته من مشاهدين، إلى أن أتى «طوفان الأقصى» أخيراً. أمر لم ينسحب على شقيقتها التي أظهرت أنّها لا تكثرث لا لفلسطين ولا حتّى للمشاهدين الذين عبّروا عن سخطهم من أدائها، بقدر ما تهمّها مصالح القيادة السعودية التي بدورها لا تنسى الحسابات السياسية الضيّقة حتّى في أحلك الظروف وأكثر القضايا توحيداً للعرب. هكذا، تحوّلت «العربية» في الأسابيع الماضية إلى منصّة تخدم صورة العدو، فسخرت نفسها لابعاء في حرب النفس عبر محاولة إظهار نفسها «محايدة» أو «لا» قبل أن تذهب حدّ المجاهرة بمواقفها المنحازة إلى كيان الاحتلال، وكلّ ذلك معلّّب بشعار «السلام».

بسبب أدائها، لم تخسر القناة من مشاهديها فحسب (ما يعني خسارتها المنافسة مع «الجزيرة» تلقائياً)، بل باتت أيضاً عرضة للانتقادات ودعوات المقاطعة في عصر السوشال ميديا. لم نكن يوماً أمام ما يشبه المشهد الحالي على مواقع التواصل الاجتماعي من فصح الأجنداث المخفية والأخطاء التي تحصل على القنوات عمداً أو سهواً، وكان أسهل بكثير سابقاً بثّ الأخبار الكاذبة من دون قدرة لمن يعرفون الحقيقة على المواجهة والتوعية كما يحصل اليوم. بذلك، امتلأت الصفحات بسفطات «العربية»، وبعض هذه «الأخطاء» وُصف بالخبيث بسبب ضآلة احتمال وقوعه سهواً كونه يعكس سياسةً تحريريةً واضحة.

تجليات التغطية المنحازة تبدأ بالمصطلحات المستخدمة. تعكف «العربية» على استخدام تعابير مثل «الحرب» و«النزاع» وكأنّها حرب بين طرفين متساويين في القوّة، لا عدوان مجرماً على مدنيّين أبرياء وإبادة جماعية بحقّهم. تستخدم تعابير «مليشيات» للإشارة إلى حركات المقاومة، فيما تُشير إلى الأراضي المحتلة على أنّها «إسرائيل» (وهو ما تفعله أيضاً قنوات عربية عدوّ) وإلى جيش العدو على أنّها «جيش الدفاع» الذي تنقل عنه أخباراً كثيرة وتستضيف المتحدث باسمه كما تستضيف إسرائيليّين وصهاينة آخرين (أمر تقوم به قنوات عربية أخرى كذلك، بما فيها «الجزيرة»، لكن ليس بالوتيرة ذاتها ولا بالاحترام ذاته تجاه ما يقولونه). في هذا السياق، أتت مقابلة الإعلامية اللبنانية في القناة ليل الاختيار مع المتحدث باسم جيش العدو أفياخي أدري ونعتها إيّاه بـ«أستاذ أفياخي»، مع ما رافق ذلك من انتقادات وضجّة. لم تكن تلك المقابلة سياقاً منفصلاً عن سياسة المحطّة، بل صورة عنها. ورغم كلّ الانتقادات، عادت الإعلامية واستضافت المتحدث باسم رئيس الحكومة الإسرائيليّة للإعلام العربي أوفير جندلمان، وعادت واستخدمت لقب «أستاذ»!

سقطه أخرى كانت محطّ انتقادات واسعة على مواقع التواصل الاجتماعي، وهي قول مراسل «العربية» في غزّة أحمد حرب «11 شهيداً» (فلسطينياً) في تغطية مباشرة، قبل أن يستدرك بعد ثوانٍ و«يصحّح»

فيقول «11 ضحية، عفواً». عبارة «عفواً» هي التي أثارت غضب ملايين العرب، واعتبرها الناشطون دليلاً على سياسة المحطّمة ووجود قرار واضح بـ«الحياد». ولم تتوقّف السقطات هنا. يوم السبت الماضي، بثّت القناة مقطعاً زعمت أنّهُ يُظهر اشتباكات عنيفة بين جيش الاحتلال والمقاومة الفلسطينية شرق مخيم البريج في غزّة، قبل أن يتبيّن أنّهُ يعود إلى تبادل إطلاق نار بين عشيرتين عراقيتين في عام 2021، كما أشار ناشطون أرفقوا الرابط إلى المقطع الأصلي لإثبات ذلك.

أيضاً وأيضاً، أطلّ رياض فهوجي الذي تصفه القناة بـ«مستشارها للشؤون العسكرية»، لبشّر بأنّ «التفوّق في قوّة النيران لمصلحة إسرائيل بشكل كبير. السيطرة الجوية التامّة هي لإسرائيل. كثافة النيران لمصلحة إسرائيل» ليستنتج أنّ «حماس» ربّما تحقّق تقدّماً في البداية، لكنّ القصف الإسرائيلي اليومي سينهكها، ويؤدّي في النهاية إلى هزيمتها. «التحليل» هذا تسبّب في مزيد من الانتقادات للقناة واتّهامها بالمشاركة بالحرب النفسية لمصلحة كيان الاحتلال. لكنّ فهوجي ذهب أبعد من ذلك. خلال كلامه، قال إنّ «إسرائيل ستضطرّ إلى إدخال المشاة لمواجهة مقاتلي داعش وجهاً لوجه»، مثيراً غضب الملايين مجدّداً. واعتبر الناشطون أنّهُ يتبنّى السردية الصهيونية الزائفة حول أنّ «حماس هي داعش». فهوجي أعاد ونشر المقطع بنفسه وكتب معذراً: «أريد أن أعتذر بشدّة عن الخطأ الناجم عن زلّة لسان في مداخلتي يوم السبت، إذ كنت أقصد أن أقول «حماس». كنت أتابع تطوّرات متسارعة، فذكرت كيف أنّ إسرائيل تشبّه «حماس» بداعش لتبرّر جرائمها ضدّ المدنيّين في غزّة. وأنا أعلّق من دون نصّ أمامي. أعتذر مجدّداً وجلّ من لا يخطئ». لكنّ الردّ لم يشفّر غليل بعضهم الذي اعتبر أنّ حتّى الزلّة قد تكون نتيجة التعرّض الكثيف للإعلام الغربي والصهيوني وسرديّاته.

إضافة إلى ما سبق، ازدادت الانتقادات في الأيّام الماضية مع نشر «العربية» خبراً حول اقتحام مخازن «الأمم المتّحدة» التي تخزّن موادّ غذائية يُفترض أنّها تبرّعات، تمهيداً لبيعها للغزّاءويّين الذين لا يجدون الطعام الكافي في وقت قد تُستهدف المخازن في أيّ لحظة وتتلّف المواد، فاتّهمت القناة أهل غزّة بالسرقة، ما أغضب كثيراً ممّن اعتبروا أنّ القناة لم ترّ طوال الأسابيع الماضية أيّ سرقة غير عندما أراد الفلسطينيون استرجاع حقّ من حقوقهم الأساسية. وطفح الكيل عند بعضهم من أداء القناة، فوصل حدّ الدعوة إلى طرد مراسليها من غزّة، إذا لم يحترموا أهلها، كما حصل مع مراسلة CNN الأميركية. وبدو واضحاً عند تصفّح مواقع التواصل، كيف تُكّال الشتائم للقناة بكثافة، فيما انتشرت ظاهرة تسميتها «العبرية» بدلاً من «العربية».